جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر

ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30 العدد: 04 السنة: 2026.

مجلة المعيار
EL MIEYAR

جدلية الخطاب الاستعماري وإعادة امتلاك الصوت: قراءة ما بعد كولونيالية في سرديات المركز والهامش بين روايتي Kim لـ Rudyard Kipling و Ce Que Le Jour Doit à La Nuit لياسمينة خضرة

The Dialectics of Colonial Discourse and the Reclamation of Voice: A Postcolonial Reading of Center-Periphery Narratives in Kim by Rudyard Kipling and Ce Que Le Jour Doit à La Nuit by Yasmina Khadra

ريان كشاو[1]
rayenekachaou@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/03/31 تاريخ النشر: 2026/09/15
Received: 31/03/2026 published: 15/09/2026

ملخص المقال:

استطاعت الرواية تصوير الاستعمار وبعده، فجاءت شاهدة على النظرة الغربية اتجاه الشرق والتعريف بمختلف القضايا التي تهم الشعوب المضطهدة، وهو ما يظهر في رواية Kim لـRudyard Kipling بوصفها نموذجا يقدم الشرق عبر المتخيل الغربي ويحيله إلى مجرد صورة غريبة متناقضة قابلة للاستكشاف والضبط من قبل المشروع الاستعماري، كما تأتي رواية فضل الليل على النهار لياسمينة خضرة في هذا السياق بوصفها خطاب رد يعبر عن قضايا التشظي في المجتمعات المحتلة، وكذا تكريس حتمية الفضاء الثالث فصارت نموذجا للتفكير النقدي، كما وضحت العلاقة بين السرد والذاكرة، وبين الشخصية والفضاء، وبين الجذور والاغتراب، مؤكدة على الدور الإبداعي في تفكيك الهويات الصلبة وإعادة تصور العلاقات بين الذات والآخر.

كلمات مفتاحية: الرواية، الاستعمار وما بعد الاستعمار، الاستشراق، الخطاب الكولونيالي، خطاب الرد.

Abstract:

The novel captures a wide range of human relationships during and after the colonial period. It stands as a testimony to the Western hegemonic and hierarchical gaze toward the East. This is clearly manifested in Rudyard Kipling's Kim, which constitutes a canonical example of representing the East through the Western imaginary .Within the same theoretical framework, What the Day Owes the Night by Yasmina Khadra emerges as a counter-discursive intervention that articulates the problematics of fragmentation and dislocation within colonized societies.

Keywords: *The Novel, Colonialism and postcolonialism, Orientalism, Colonial Discourse, Counter-Discourse.*

(1) جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف (الجزائر)

مقدمة:

يُعدّ الاستشراق واحدًا من أبرز الخطابات التي شكّلت صورة الشرق في المخيال الغربي، فلم يكن مجرد اهتمام معرفي أو بحث علمي، بل مثّل في كثير من الأحيان أداة لتمثيل الآخر وإعادة إنتاجه وفق تصورات أوروبا ومصالحها، وفي المقابل أسهمت خطابات ما بعد الكولونيالية في الرد على النصوص الصادرة عن المركز الغربي، فجاءت بمثابة استعادة لسلطة مغيبة، واستردادا لحقوق مسلوبة عن طريق منح الرد لسكان المستعمرات الذين مثلوا الآخر المهمش الذي طالما كان موضع دراسة لا موضع فاعل، وقد تداخل في هذه الخطابات –الصادرة عن المركز والهامش على حد سواء– البعد المعرفي بالبعد الإيديولوجي، مما جعلها تتجاوز حدود الدراسات الأكاديمية إلى التأثير المباشر في الأدب والفن والسياسة، ومختلف ضروب المعرفة الأخرى.

وقد برزت الرواية كأحد أهم الأجناس الأدبية التي احتضنت هذه الخطابات بتشعباتها، لما لها من قدرة على تمثيل العوالم المختلفة، وتجسيد الشخصيات، وبناء الفضاءات السردية، فقد وجدت الرواية الأوروبية في الشرق مجالاً خصبًا للتخييل، حيث تم تصويره تارةً كفضاء غرائبي ساحر مليء بالعجائب والأساطير، وتارةً أخرى كعالم جامد ومتخلّف يحتاج إلى تدخل الغرب "المتحضر"، كما اهتمت بقضايا الهوية وتشظيها، وكذا الفضاء الثالث وإشكالات الانتماء، مشكلة بذلك فضاء سرديا مفتوحا على التوترات والاختلافات، وهكذا تحولت الرواية إلى أداة لمعالجة مشاكل الإنسان المعاصر إبان الاستعمار وبعده، بشكل يعكس قدرة الأدب على تمثيل القضايا الإنسانية من جهة، وتواطؤه مع الخطاب الاستشراقي من جهة أخرى.

أما عن الإشكالية التي يطرحها الموضوع فهي:

إلى أي مدى أسهمت كل من رواية Kim ورواية *Ce Que Le Jour Doit à La Nuit* في تكريس الخطاب الاستعماري وتمثلاته للشرق؟ وفي المقابل كيف عملت على تفكيك هذا الخطاب وإعادة امتلاك الصوت عبر مفهومي الهجنة والفضاء الثالث؟

ويفضي هذا الطرح إلى ضرورة الإجابة عن جملة من التساؤلات هي:

–كيف تم استدعاء الفضاء الشرقي في الرواية؟

–كيف تتقاطع الرواية الاستشراقية مع الخطاب الكولونيالي في تبرير الهيمنة الأوروبية؟

– كيف تتقاطع الهجنة والفضاء الثالث لإنتاج قراءة نقدية للاختلافات الثقافية؟

– كيف يُوظَّف مفهوم الفضاء الثالث في الرواية لإعادة تشكيل الانتماءات والهويات المتعددة؟

تسعى هذه الدراسة إلى إماطة اللثام عن تمثلات الاستشراق في الرواية الغربية، وذلك عن طريق محاورة رواية **Kim** للكاتب الإنجليزي **Rudyard Kipling** الذي أسهم في تقديم صورة غربية عن الهند إبان الحكم البريطاني نهاية القرن التاسع عشر، وكذا التأكيد على حتمية وجود الفضاء الثالث في المجتمعات المستعمَرة، وذلك عن طريق محاورة رواية **فضل الليل على النهار** للروائي الجزائري **ياسمينة خضرة**،

الذي أسهم في فضح السياسات الاستعمارية الغاشمة من جهة، وكذا التعبير عن انعكاسات هذه الأخيرة على المستعمِر والمستعمَر على حد سواء.

يستند اختيار الروايتين إلى مسوغ يتمثل في انتمائهما إلى فضاء كولونيالي واحد، وإن اختلف موقع كل منهما داخل هذا الفضاء؛ فرواية Kimتمثل خطاب المركز الاستعماري الذي أسهم في بناء صورة الشرق وفق الرؤية الإمبراطورية البريطانية، في حين تمثل رواية Ce Que Le Jour Doit à La Nuitخطابًا ما بعد كولونيالي يعيد قراءة التجربة الاستعمارية من منظور الذات المستعمَرة، ومن ثم فإن الجمع بين النصين لا يهدف إلى المقارنة التقليدية بين عملين روائيين، بل إلى تتبع جدلية التمثيل والمقاومة، وانتقال السرد من إنتاج الخطاب الاستعماري إلى تفكيكه وإعادة امتلاك الصوت، كما يتيح هذا الاختيار اختبار مفاهيم النقد ما بعد الكولونيالي، ولا سيما الاستشراق والهجنة والفضاء الثالث، في نصين يعكسان موقعين متقابلين داخل العلاقة الاستعمارية نفسها، كما يجمع النصان بين تمثيل فضاءات استعمارية متعددة (الهند والجزائر)، مما يسمح بتجاوز الخصوصية المحلية نحو دراسة الآليات المشتركة التي اشتغل بها الخطاب الكولونيالي في بناء صورة الآخر، وآليات تفكيكه في السرديات ما بعد الكولونيالية.

هذا وقد كان النقد الثقافي هو المنهج الأنسب لمتطلبات هذه الدراسة من أجل إحاطة أفضل بتجليات الخطاب الاستشراقي، وكذا الفضاء الثالث، والكشف عن البنى الثقافية والإيديولوجية الكامنة خلف السرد الروائي، وكذا إظهار العلاقة بين المتخيل الروائي والمنظومات الاستعمارية التي سعت أوروبا إلى ترسيخها من جهة، ونظرية ما بعد الاستعمار التي منحت حق الرد للشعوب المستعمَرة من جهة أخرى.

1-الرواية والاستشراق: من بناء الصورة إلى تكريس النمط

تفطن الدارسون من أبناء المستعمرات –وعلى رأسهم المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد (**Edward Said**)– إلى حقيقة النصوص المكتوبة عن الشرق وما فيها من مغالطات رامية إلى تشويه صورة الشعوب المستعمَرة، وتقديمها إلى العالم بمثابة حجج لتبرير الحركات الاستيطانية الوحشية ضد الشرق، وقد كان كتاب **الاستشراق** (**Orientalism 1978**) بمثابة البداية الفعلية لهذه الدراسات الهادفة إلى فضح تلك الخطابات، يقول **سعيد**: (سعيد، 2006، ص72) "كان الاستشراق يمثل استجابة للثقافة التي أوجدته أكثر من استجابته لموضوعه المفترض، وهو الذي أنتجه الغرب أيضا"، حيث كان الادعاء الغربي بأن الاستشراق جاء ليتخذ من الشرق موضوعا له، إلا أنه لم يهتم بدراسة فعلية للشرق وعاداته وأحواله، بل سعى لخدمة أجندات الغرب ومتطلباتهم، بل حتى إن "الشرق" في حد ذاته مفتعل من طرف الغرب، لأن هذا الأخير هو الذي فرض هذه التقسيمات الثنائية ليزج بالشعوب الأخرى في خانة "الآخر" الغريب، وعليه يرى **سعيد** (سعيد، 2006، ص71) "أننا لا نستطيع إرجاع قيمة وفعالية وقوة شيء مكتوب عن الشرق، مهما بدا من صدقه، إلى الشرق، بل لا يمكن أن يعتمد أي من هذه السمات على تحقق الصدق فيه، بل نرى على العكس من ذلك، أن تلك الكتابة تعتبر ذات وجود للقارئ بفضل قدرتها على استبعاد وإزاحة الكيان الحقيقي للشرق وجعله من النوافل"، ما يظهر التأكيد على حجم الأكاذيب الموجودة في تلك النصوص الاستشراقية، وحرصها على الإقصاء المتعمد للوجود الحقيقي للشرق، وتقزيم حضوره وتهميشه القصدي، وجعله مجرد تابع للحضارة الغربية.

هذا وقد لعبت الرواية دورا جوهريا في تثبيت الرؤية الاستشراقية، حيث استحضرت الشرق فضاء وشخصيات ورموزا، وقدمته في قالب خاضع لتصورات الغرب، كما قامت بتوظيف عناصر جمالية وسردية لإبراز الشرق كفضاء للمتعة الحسية، والغموض والغرابة، أو كمجال للتخلف والجمود في مقابل الغرب المتحضر والعقلاني، وهكذا تحولت الرواية من مجرد ممارسة إبداعية إلى أداة ثقافية لإنتاج خطاب استشراقي يعيد إنتاج الصور النمطية ويرسخ مفهوم الهيمنة المركزية، حيث (قباني،1993، ص19) "تتضمن الروايات الأوروبية عن الشرق تركيزا متعمدا على تلك السمات التي تجعل هذا الشرق مختلفا عن الغرب وتنفيه إلى عالم (الآخر) وتخفضه إلى مرتبة (الغير) الذي (لا صلاح له)، وكان في هذه الروايات الأوروبية التي تصف ذلك (الآخر) مقولتان ملفتتان للنظر: الأولى هي الإلحاح على الادعاء بأن الشرق هو (مكان الفسق والملذات)، والثانية هي أن هذا الشرق هو (عالم العنف المتأصل)، وكان لهاتين المقولتين أهميتهما في فكر العصور الوسطى وظلتا تترددان بدرجات متفاوتة من القوة حتى وقتنا الحاضر"، وتتجلى أهمية هاتين الفكرتين بالنسبة للغرب في تشجيع الحركات الاستيطانية وتحفيز الهجرة؛ فالشرق عالم السحر والشهوات، والتجارب الجامحة التي لا يمكن خوضها في أوروبا المتحضرة، وفي الآن ذاته هو عالم متخلف متوحش في حاجة ماسة إلى الوصاية الغربية عليه لتمدينه، كل هذا من أجل زيادة هجرة المواطنين الأوروبيين صوب هذا العالم العجيب ومنه السيطرة التامة عليه.

وهكذا يرى **هومي بابا** (**Homi K. Bhabha**) أن (بابا، 2004، ص151) "غاية الخطاب الكولونيالي هي أن يؤول المستعمَرين بوصفهم شعوبا من أنماط منحطة بسبب من أصلهم العرقي، وذلك لكي يبرر فتح هذه الشعوب ولكي يقيم بين ظاهرانيها أنظمة الإدارة والتوجيه"، ما يعني أنه تم الحط من قيمة شعوب بأكملها، لا لشيء وإنما لاعتبارات عرقية محضة، تحت شعارات زائفة تدعو في ظاهرها إلى التحضير والتمدن وتكشف في باطنها عن توجهات استيطانية عنصرية اقصائية لكل ما هو مختلف عنها، وهو ما ذهب إليه **سعيد** حين تحدث عن الصور الزائفة التي تروج لها الخطابات المركزية فقال:(سعيد، 2006، ص72) "وهكذا رأينا (وما زلنا نرى) صورة لغوية للشرق، وصورة فرويدية، وصورة شبنجلرية، وصورة داروينية، وصورة عنصرية، وهلم جرا، ومع ذلك فلم يحدث قط أن وجد شرق نقي غير مشروط، وعلى غرار ذلك لم توجد قط صورة غير مادية للاستشراق، ناهيك بما هو أكثر براءة مثل "فكرة الشرق""، ما يؤكد على حقيقة أن مختلف تلك النصوص الصادرة عن المركز الغربي، ما هي إلا صور مشوهة جاءت تنفيذا لتعليمات محددة، ولم تحاول الوصول إلى الجوهر الحقيقي للشرق وكيانه العريق، وقد أسهمت الرواية في إيصال هذه الأفكار إلى اللاوعي الإنساني بحيث تخفّى الخطاب الاستعماري خلف قناع سردي جمالي قائم على اختزال الشرق وتشيئه.

2-الرواية بين المستعمَر والمستعمِر

شكّلت الخطابات الاستشراقية أحد أبرز المسارات التي صاغت بها الدول الاستعمارية الأوروبية تصوّرها للآخر الشرقي، حيث تراكمت النصوص منذ العصور الوسطى لتنتج صورة مغلوطة عن الشرق، لم تعكس واقعه ولا احتياجاته بقدر ما جاءت تلبية لمطالب أوروبية استيطانية بالدرجة الأولى، وقد اتخذت هذه الخطابات أشكالا متعددة من الدراسات اللغوية والتاريخية والأنثروبولوجية، وصولا إلى الأدب والفن، حيث تمازجت الادعاءات العلمية بالتمثيلات الخيالية والرموز الأسطورية، لإنتاج رؤية دونية للشرق ومنه تسهيل الاستحواذ عليه وإخضاعه.

هذا وقد لعب الأدب دورا محوريا في ترسيخ تلك الصور النمطية الكاذبة عن الشرق وشعوبه، والمساهمة في مسخه إلى صور منحطة وتقديمها إلى العالم، لتبرير النوايا الاستعمارية الرامية حقيقة إلى نهب ثروات تلك الدول وحشرها في خانة "الآخر" العنيف، والمتخلف، والعاجز عن تسيير أموره، وعليه لم يكن الأدب مجرد ممارسة جمالية، بل أداة ثقافية لإنتاج معرفة موجهة عن الشرق، ولتغذية الخطاب الاستعماري الأوروبي الإقصائي.

3-تمظهرات الخطاب الاستشراقي في رواية Kim لـRudyard Kipling

رواية **Kim** لـ**Rudyard Kipling** رواية تتتبع حياة **Kimball O'hara** الطفل الإيرلندي الذي عاش يتيما في شوارع الهند إبان الحكم البريطاني، وانصهاره في المجتمع الهندي، ومغامراته رفقة الراهب البوذي التبتي، أين تتغير حياته حين يجد نفسه جزءا من عملية جوسسة تقودها بريطانيا ضد روسيا فيما يسمى بـ**The Great Game** (**اللعبة الكبرى**)، ومختلف العقبات التي تواجهه إلى غاية تحقيقه نبوءة والده وانضمامه إلى صفوف بريطانيا رغم نشأته الهندية، وتعد هذه الرواية أنجح أعمال الكاتب الروائية منذ نشرها عام 1901م، حيث لاقت رواجا كبيرا زاد من شهرته ومقروئيته، إلا أن تطور مجال الدراسات وخاصة نظرية ما بعد الكولونيالية سمح بالتعرف على كثير من الأنساق المضمرة التي تعكس نظرة الكاتب الدونية اتجاه الشرق، وتمجيده الكبير للإمبراطورية البريطانية رغم سياساتها التعسفية في الهند، وعليه يمكن استشفاف مظاهر عدة تبين مختلف القوالب الجاهزة والصور النمطية التي حصر فيها الكاتب الهند وشعبها، وتظهر في:

1.3. الهند كفضاء غرائبي:

سعى الكاتب على طول الرواية إلى إضافة لمسة غرائبية على الهند وشعبها، وعاداتها وكل ما يحيط بها، فالشرق هو مكان العجائب، هو شرق ألف ليلة وليلة، وكل ما هو غير مألوف، ويظهر ذلك في مواقف عدة، حيث يصف مشهد حفل زفاف ويقول: (Kipling, 1915, p104) "أتى موكب الزفاف يشق طريقه نحو (**The Grand Trunk**) على أنغام الموسيقى والأهازيج، تفوح منه رائحة الأقحوان والياسمين أقوى حتى من الغبار. كان باستطاعة المرء رؤية محفة العروس ككتلة ضبابية من حمراء مبهرجة تتمايل وسط الزحام (...) ثم ينضم **Kim** إلى زخات التهاني والنكت السمجة، متمنيين للعروسين مائة ولد دون بنات كما يقول المثل، لكن ما أثار ضجة وصخبا أكبر هو ظهور لاعب خفة جوال رفقة بعض القرود نصف المدربة، أو دب هزيل يلهث، أو امرأة تربط قرون الماعز إلى قدميها"، يظهر هنا تركيز الروائي على الجانب العجيب من الهند، فعلى عكس حفلات الزفاف البريطانية الراقية والهادئة، يظهر المجتمع الهندي على أنه مبهرج وصاخب، وغريب وأبله في أحيان كثيرة، وهذه الغرابة هي ما يفتقدها الفرد البريطاني، وبالتالي يجب عليه زيارة الهند لرؤيتها، مما يظهر استقطابا للعنصر الغربي من جهة، وحتى نزع صفة الإنسانية عن هذا الشعب الهندي الذي لا يرتقي لمصاف الإنسان، بل يبقى محصورا في خانة عرض بهلواني يستحق الزيارة والوصاية عليه.

ولم يكتف الكاتب بوصف غرابة العادات والتقاليد فقط، فحتى الدين لم يسلم من تلك النظرة الدونية التي حولته إلى شيء أشبه بالخرافة، يقول الكاتب على لسان الراهب: (Kipling, 1915, p15-16) "حين طلب سيدنا الجليل وهو في ريعان شبابه زوجة له، قال الناس في بلاط أبيه أنه أرق من أن يقدم على الزواج (...) فاختبروا قوته بامتحان ثلاثي في مواجهة جميع المنافسين، وعند اختبار القوس،

كسر سيدنا أول قوس أعطوه إياه، ثم طلب قوسا لا يقدر أحد على كسره، ولما رمى سهمه، تجاوز جميع الأهداف ومضى بعيدا، بعيدا حتى غاب عن الأنظار، وفي النهاية وقع السهم، وحيث مس الأرض انفجر منها نبع صار نهرا، وبفضل إحسان سيدنا وبما حصله من استحقاق، من يغتسل فيه سيغسل كل آثار ووصمات الخطيئة"، يبين هذا الوصف إزالة هالة القداسة عن الدين وتحويله إلى حكاية خرافية أشبه بالملاحم الإغريقية القديمة، وعلى اعتبار أن أحداث الرواية جرت أواخر القرن التاسع عشر، فهذا يزيد من مستوى بلاهة الراهب الذي جاء من التبت بحثا عن نهر مقدس ليغسل خطاياه، كما يوحي بغرابة هذا المجتمع الشرقي الذي يعظم الخرافات، في مقابل الشعب البريطاني المتحضر، مما ينزل الإنسان الشرقي منزلة الآخر المتخلف.

2.3. إنتاج الآخر:

حرص **Kipling** على إنتاج صورة الهنود بطريقة تحصرهم في قوالب جاهزة ونمطية دون أي اعتبار للاختلافات الموجودة بينهم، ويظهر هذا في مواطن عدة، يقول: (Kipling, 1915, p58) "يوجد متسع في الباحة لليوغي (**Yogi**)، ولك أيضا، هل سيمنحني بركة؟" وفي موضع آخر يقول: (Kipling, 1915, 24)"اطلب بركة الرجل القديس لي، ولعله يعرف أيضا علاجا لالتهاب عيني ابنتي"، يبين هذا تصوير الناس على أنهم بسطاء، يهتمون بالخرافات والبركات بدل العلم والمعرفة الحقيقيتين، وهذا تصوير ضيق وأحادي لأنه يحصر مجتمعا بأطيافه المتعددة واختلافاته الجوهرية في قالب واحد، يقول في موضع آخر: (Kipling, 1915, p24) "استطاع **Kim** الكذب كشرقي" فعلى الرغم من أصوله الإيرلندية، إلا أن نشأته في الشرق علمته خصالهم الذميمة –حسب الكاتب– ما يبين نظرته العنصرية اتجاه الآخر ويفصح عن توجهاته الأوروبية المركزية الرامية إلى الإخضاع والسيطرة.

تظهر ميولات الكاتب الاستعلائية كذلك في تصوريه لشخصية (**Mahboub Ali**) تاجر الأحصنة المسلم الأفغاني، يقول: (Kipling, 1915, p39)"انكبوا على شرب البراندي المعطر مخالفين شريعة النبي، حتى ثمل محبوب ثمالة عظيمة"، كما وصفه في أكثر من موضع بأنه كاره لغير المؤمنين دائم اللعن لهم، وهذا ناجم عن سوء فهم الدين الإسلامي من جهة، ورغبة الغرب في تشويهه من جهة أخرى، يقول **سعيد:** (سعيد، 1996، ص28) "بالنسبة إلى الغرب، انطوى فهم الإسلام على محاولة تحويل تنوعه إلى جوهر وحداني غير قابل للتطور، وقلب أصالته إلى نسخة منحطة من الثقافة المسيحية، ومسخ شعوبه إلى كاريكاتورات مثيرة للرعب"، فهذا العداء اتجاه الإسلام والمسلمين ليس وليد اللحظة، ولا هو نابع من توجهات الكاتب الشخصية، إنما هو حقد دفين امتد على مدى قرون طويلة منذ زمن الحروب الصليبية أو قبلها، وبالتالي كان من المتوقع أن يصور **Kipling** المسلم بهذه الصورة الفاسدة، ولم يشفع له حتى عمله كجاسوس لصالح الاستخبارات البريطانية، وذلك لأن العلاقة بين الغرب والشرق دائما ما كانت علاقة آمر بالمأمور، ودائما ما كانت مكانة الشرقي منحطة، لأنه مصدر الفساد عكس الغربي المتفوق.

4.3. عبء الرجل الأبيض:

اتخذت القوى الاستعمارية ذرائع عدة لتحسين صورتها على الساحة العالمية، لتتجنب الاعتراف بنواياها القمعية مباشرة لما في ذلك من مساءلات دولية، وعليه لجأت إلى غطاء هو عبء الرجل للأبيض أو ما يسمى (**White man's Burden**)، (قباني، 1993، ص20) "فصورة الأوروبي المستعمر يجب أن تبقى صورة مشرفة: إنه لم يأت كمستغل، وإنما جاء كصاحب رسالة تنويرية، كما أنه لا يسعى إلى مجرد الكسب، بل هو يؤدي واجبه نحو خالقه ومليكه عندما يمد يد المساعدة إلى من لم يحالفهم الحظ ليرتقوا إلى مستواه الرفيع، إنه شعار

عبء الرجل الأبيض الذي أتاح له أن يخضع قارات بأكملها"، والتاريخ مليء بمثل هذه التخرصات الصادرة عن المركز الأوروبي، أين يكثر الادعاء بأن كل تلك الحملات العسكرية والسياسية والإيديولوجية الرامية إلى النهب والاستيلاء، وتشويه الهويات وطمس الاختلافات، ما هي إلا محاولات تحضير الشرق، وأن تلك الجهود الوحشية ليست سوى مساعي تمدين، وتُظهر الرواية ذلك بشكل كبير؛ فيتحدث الكاتب عن الجهود الأوروبية فيقول: (Kipling, 1915, p13-14) "تهيأ بخشوع للإصغاء إلى المقاطع التي ترجمت على عجل إلى اللغة الأردية، وللمرة الأولى سمع بجهود العلماء الأوروبيين الذين تمكنوا بمساعدة هذه الوثائق ومئات غيرها، من تحديد الأماكن البوذية المقدسة"، فها هو الكاتب يفتخر بجهود الأوروبيين الذين سعوا إلى الحفاظ على المقدسات الدينية، فحضورهم في الشرق أساسي وضروري، لدرجة أن الراهب المتفقه في البوذية لم يبلغ من العلم ما بلغه هؤلاء الدارسون الغربيون، في إشارة واضحة إلى تفوق الإنسان الغربي وحاجة الشرقي إليه في كل مناحي الحياة، وهو ما يظهر كذلك في علاقة الراهب ببطل الرواية، هذا الراهب الذي خاض رحلة تهيأ لها طول حياته، إلا أنه وقف عاجزا تماما أمام كل الصعوبات ولولا البطل الأوروبي لما استطاع أن يتقدم خطوة واحدة، يقول:(Kipling, 1915, p20) "توقف الشيخ أمام **Zam-Zammah** * وأخذ يتلفت حتى وقعت عيناه على **Kim**، لقد غادره مصدر إلهام رحلته لوهلة، فشعر بالوهن والوحدة والفراغ العميق"، يحيل هذا المقطع إلى العلاقة بين الشرق والغرب، وكيف أن الشرق في حاجة دائمة إلى وصاية الغرب عليه لأنه غير قادر على إدارة شؤونه بنفسه، فعلى الرغم من أن هذا الراهب لم يكن يعلم بوجود البطل أصلا، إلا أنه اتخذه مصدر إلهام، وشعر بالضياع التام دونه، حتى إنه اعتمد عليه في المأكل والمشرب والمرقد وفي الطريق بحثا عن النهر المقدس حتى صار يبكي لما يبتعد عنه كالصغير تماما، ما يعني أن البطل اتخذ وصاية كاملة عليه وعلى شؤونه، في إسقاط واضح وصريح على حاجة الشرق للوصاية الغربية.

ركز **Kipling** في روايته كذلك على عبارة محددة وصف بها البطل **Kim** وهي (**Little friend of the world**) أو صديق العالم الصغير، ويشير بها إلى قدرة البطل الكبيرة على الاندماج مع مختلف الأعراق والديانات وحتى إتقان اللغات الأخرى، فيظهر على طول النص مستخدما كلمات من اللغة الهندية ثم يقوم بشرحها، وهو ما يجسد ذلك الوهم الاستعماري الرامي إلى السيطرة المطلقة على الشرق، والتحرك فيه بحرية تامة دون حواجز لغوية أو اجتماعية أو دينية، فالإنسان الغربي يعرف الشرق أكثر مما يعرفه السكان الأصليون، وبالتالي يستطيع الاستيلاء عليه دون حواجز تعيقه.

4- آليات خطاب الرد في الخطاب ما بعد الكولونيالي

سمحت نظرية ما بعد الكولونيالية –بفضل جهود روادها– بإعطاء حق الرد للشعوب المستعمرَة، وذلك من خلال التعبير عن مآسيها وما مرت به من اضطهاد وعنف مسلط عليها من القوى الاستعمارية، بعيدا عن تكميم الأفواه والعنف المسلط من طرف قوات المركز، وهكذا ظهرت نصوص لأبناء المستعمرات الذين اتخذوا أقلامهم سلاحا ضد الأكاذيب الغربية التي عاثت فسادا في دول الشرق تحت غطاء نقل الحضارة والحفاظ على حقوق الإنسان، وعليه سعى هؤلاء الأدباء إلى إيصال أصواتهم إلى العالم والتعبير عن أحوالهم بألسنتهم، وهو ما يعرف **بالسرد المضاد** (**Counter Discourse**)، والذي يعني (أشكروفت، 2010، ص121) "وصف السبل المتواشجة التي قد يمكن من خلالها توجيه الطعون من موضع الهامش ضد خطاب راسخ أو سائد (على وجه الخصوص تلك الخطابات التي تخص المركز

* مدفع قديم يعود تاريخه إلى القرن الثامن عشر، يوجد الآن في متحف لاهور في باكستان.

(Peripheral) الإمبريالي"، ما يدل على محاولات تقويض الخطاب الاستعماري المركزي وكشف ما فيه من مغالطات وفضح السياسات الاستعمارية التي حكمت العالم ردحا طويلا من الزمن دون نقد أو أدنى مساءلة.

هذا وقد تعددت أساليب الرد في الخطابات الصادرة عن الهامش بتعدد المثقفين وأيديولوجياتهم، ومواقفهم من الاستعمار.

1.4. فرانز فانون (Frantz Fanon):

دعا **فرانز فانون الطبيب** المارتينيكي الفرنسي إلى العنف كسبيل وحيد للرد على المستعمر فقال: (فانون، 2015، ص40)"إن محو الاستعمار حين يعرض عاريا، يكشف من خلال مساماته كلها، عن رصاصات حر وخناجر دامية، ذلك أنه إن كان على الأواخر أن يصبحوا هم الأوائل، فإن هذا لا يمكن أن يتم إلا بعد قتال حاسم مميت يخوضه الطرفان المتنازعان "، ويمكن إيعاز نزعته العنيفة هذه إلى عمله في مستشفى الأمراض العقلية، وتفحصه عن كثب حجم الدمار الذي أحدثه الاستعمار في نفوس المواطنين، وعليه جاءت دعوته صريحة للعنف، واسترداد الحقوق بحد السلاح.

2.4. إدوارد سعيد (Edward Said):

يعد المفكر الفلسطيني **إدوارد سعيد** رائد الدراسات ما بعد الكولونيالية من خلال كتابه **الاستشراق**، والذي سعى من خلاله إلى تفكيك الثنائيات التي طبعت النصوص الغربية في تعاملها مع الشرق وإنزاله منزلة الآخر، كما أسهم في لفت انتباه العالم إلى الأكاذيب والادعاءات المغرضة التي تخللت النصوص الصادرة عن المركز حول الشرق وشعوبه، ومنه الاسهام في التعبير عن الشرق كما هو حقيقة لا كما يريد له الغرب أن يكون.

3.4. جياتري سبيفاك (Gayatri Spivak):

ركزت الناقدة الهندية **سبيفاك** في دراساتها على المرأة فيما أسمته **بدراسات التابع**، حيث تفطنت إلى العنف المضاعف المسلط على النساء خلال فترات الاحتلال؛ عنف من المستعمِر وآخر من الرجل الشرقي، فكتبت مقالا بعنوان **"هل يمكن للتابع أن يتكلم؟"** (**Can The Subaltern Speak ?**) وناقشت فيه حجم العنف الذي تتعرض له المرأة في الشعوب المستعمرَة بصفة يومية، كما وضحت فيه نفاق النسوية الغربية التي ركزت على مشاكل المرأة البيضاء متجاهلة المرأة الشرقية بصفة جذرية.

4.4. هومي بابا (Homie K. Bhabha):

سار المفكر الهندي **هومي** على خطوات باقي منظري ما بعد الكولونيالية في حديثه عن الاستعمار وحجم الشقاق الذي يحدثه في الشعوب المستعمرَة، إلا أنه تفطن لحقيقة جوهرية مفادها أن هذا الاستعمار لا يؤثر على المستعمَر فقط، وإنما على المستعمِر كذلك، يقول: (بابا، 2004، ص51) "إن الوضع ما بعد الكولونيالي هو بمثابة تذكرة مفيدة بالعلاقات الكولونيالية الجديدة المتواصلة ضمن النظام العالمي الجديد، وبتقسيم العمل تقسيما متعدد القوميات"، ما يبين دعوته إلى ضرورة مد التواصل بين الشعبين والدعوة إلى ما يسمى **بالهجنة** (**Hybridity**)، (أشكروفت، 2010، ص199) ما "يؤكد على تحليله لعلاقات المستعمِر/المستعمَر على اعتمادهما المتبادل بعضهما على بعض والصياغة المتبادلة لذاتيتهما. يجادل **بابا** بأن كل البيانات والأنظمة الثقافية تصاغ في فضاء يسميه "الفضاء الثالث للتعبير". عادة ما تظهر الهوية الثقافية في هذا الفضاء المزدوج والمتناقض وهو بالنسبة إلى **بابا** يجعل الادعاء بوجود نقاء هرمي للثقافات قضية واهية"، وذلك لأن التعايش بين المستعمِر والمستعمَر لفترات طويلة أدى إلى تمازج ثقافتيهما حتى صار الفصل بينهما ضربا من المستحيل، وأن استرجاع الثقافة المحلية الصافية غير ممكن، على اعتبار أن العالم الآن يعيش في فضاء ثالث يحتفي بالتداخلات الثقافية والهويات الهجينة.

5- رواية فضل الليل على النهار

تعد رواية **فضل الليل على النهار** (**Ce Que Le Jour Doit à la Nuit**) من أبرز روايات الكاتب الجزائري **ياسمينة خضرة**، حيث لاقت شهرة عالمية وتم إعادة إنتاجها على هيئة فيلم يحمل الاسم ذاته، وتدور الرواية في فترة حساسة من تاريخ الجزائر قبل الثورة إلى غاية ما بعد الاستقلال وحتى فترة التسعينيات الدامية، وتسرد قصة **يونس محي الدين** الطفل الذي ولد لعائلة فقيرة في قرية قرب **وهران**، أين عاش الفقر والحرمان، حتى اضطر والده بسبب الفاقة والظروف المعيشية السيئة إرساله للعيش مع عمه الصيدلي وزوجته المسيحية في الأحياء الأوروبية في مدينة **وهران** أين تتغير حياته جذريا.

يعاد تشكيل هوية **يونس**، إذ يمنحه عمه اسما جديدا هو **جوناس**، ويلحقه بالمدرسة الفرنسية أين يخالط أوروبيين من طبقات اجتماعية مختلفة ويتشرب ثقافاتهم وعاداتهم، ما يضعه في حالة انقسام بين هويته الجزائرية وانتمائه الجديد إلى الوسط الاستعماري، كما يكبر بين مجموعة من الأصدقاء الأوروبيين الذين تجمعهم براءة أحلام الشباب وطموحات المستقبل.

تنتهي الرواية بفقدان البطل لكل أحبته، ليبقى شاهدا على مأساة جيل كامل عاش بين هويتين دون الانتماء إلى أي منهما.

جاءت الرواية غنية بحمولات ثقافية عاكسة لما يمكن للاحتلال اقترافه في حق الشعوب المستعمرَة والمستوطنة على حد سواء، فالاغتراب الذي شعر به البطل **يونس** في أحياء الأوروبيين في الجزائر هو نفسه الذي شعر به أصدقاؤه بعد تهجيرهم عقب الاستقلال، وهذا ما يبين حقيقة الفضاء الثالث الذي دعا إليه **هومي بابا** حين أقر بوجود منطقة وسطية بين المستعمَر والمستعمِر، هذه المنطقة التي تمد فيها جسور التواصل بين الثقافتين مما ينتج أخرى هجينة أو **منطقة رمادية** (**Grey Zone**) لا يمكن العودة فيها إلى الأصل، ولا الذوبان الكلي في الآخر، هذه الحالة التي لا تعد حكرا على الجزائر فقط وإنما هي حقيقة راسخة في كل الدول التي تعرضت للاستعمار، كما تفند المزاعم الغربية القائلة بكونها ثقافة مؤثرة فقط لا متأثرة، ويظهر هذا في رواية **ياسمينة خضرة** في مواضع عدة هي:

1.5. سيولة الهوية:

مثلت الهويات منطقة صراع منذ القدم، حيث قامت لأجلها الحروب لصلتها بحقيقة الإنسان وكيانه في هذا العالم، غير إنها عرفت تطورا ملحوظا مع تزايد الحركات الاستيطانية في العالم، (Hall, 1996, p4) "فالهويات لا تكون موحدة أبدا، وفي الأزمنة الأخيرة، صارت مجزأة ومتشظية بشكل متزايد، لا تنفرد أبدا بل تتضاعف عبر خطابات وممارسات ومواقف مختلفة ومتداخلة ومتناقضة في كثير من الأحيان، إنها تخضع لعملية تأريخية راديكالية، وهي دائما في طور التغيير والتحول"، ما يؤكد على حركة الهوية وتغيرها بفضل العوامل المحيطة بها، ما يسمح بمرونتها ومواكبتها لما يعصف بالمجتمع حتى صارت **هوية سائلة** (**Liquid Identity**) **-حسب Zygmunt Bauman-**(Bauman, n.d, p18-21)، ويظهر هذا في الرواية مع البطل بداية باسمه، حيث أطلق عليه والده اسم **يونس**، لكن هذا الاسم تغير بعد انتقاله للعيش مع عمه في أحياء الأوروبيين وارتياده لمدارسهم، لتسهيل اندماجه في المجتمع الأوروبي، وقد شكل له ذلك نوعا من الانقسام الهوياتي، يقول الكاتب على لسان إحدى حبيبات البطل **إيزابيل**: (خضرة، دت، ص90)

'-لماذا؟ لماذا كذبت علي؟

-لم أكذب عليك أبدا.

-آه، نعم لم تكذب؟ اسمك **يونس** أليس كذلك؟ **يو-نس**؟... لماذا إذا تسمي نفسك **جوناس**؟

-جميع الناس ينادونني **جوناس**... ماذا يغير في الأمر؟

صرخت بقوة كادت تخنقها:

-يتغير كل شيء

كان وجهها المحتقن بالأسى يرتعد:

-نعم، يتغير كل شيء.

ثم وبعد أن استرجعت أنفاسها، قالت بلهجة قاطعة:

-لسنا من عالم واحد سيد **يونس**، وزرقة عينيك غير كافية.

وقبل أن تصفق مصراعي النافذة في وجهي، شهقت شهقة ازدراء وأضافت:

-إنني من عائلة **روسيليو** هل نسيت؟ هل تتصوريني متزوجة مع عربي؟ ... الموت أفضل..."، فهذه الفتاة التي كانت تحبه وتسعى للزواج منه، رفضته حينما اكتشفت اسمه الحقيقي، وكأن عروبته عار عليها وعلى عائلتها المستوطنة، ورغم مشاعرها نحوه، هي التي ظلت تحبه طول الرواية، إلا أنها لم تتنازل عن مبادئها، فكان اسمه العربي بداية لانقسامه الهوياتي.

هذا وقد أسهم افتراقه عن عائلته (أمه ووالده وأخته) في تأجيج أزمة الهوية في حياته، حيث تمثل العائلة انتماء الإنسان الأول ومنبع كيانه، وبفقدانها يفقد جزءا أساسا من جوهره، قال العم في حديثه مع زوجته: (خضرة، دت، ص59) "من الآن فصاعدا على طفلنا أن ينظر أمامه، خلفه لا يوجد إلا الخراب"، في إشارة إلى ضرورة نبذ الماضي بتفاصيله والتطلع إلى مستقبل أفضل، لكن الماضي المنبوذ هو الهوية الأولى **ليونس**، والمستقبل هو اندماج في الآخر الذي لم يتقبله.

2.5. الفضاء الثالث وإنتاج اللاانتماء:

عاش **يونس** حياته بأكملها في منتصف مميت دون الاستقرار في مكان محدد، لأنه لم يكن جزائريا بما فيه الكفاية بالنسبة للجزائريين على اعتبار أنه لم يعايش قسوة الاحتلال، ولكنه لم يكن فرنسيا أيضا بالنسبة للفرنسيين، حيث لوثته جذوره العربية أينما حل؛ بداية بالمدرسة في صباه، يقول: (خضرة، دت، ص65) "في المدرسة، استوت لي الأمور ابتداء من السنة الثانية، نجحت في الذوبان بين الصفوف، صحيح أن الأطفال الروميين كانوا غرباء نوعا ما (...) لم أكن واحدا منهم ولا يفوتون فرصة دون تذكيري بذلك"، فعلى الرغم من حالته المادية الميسورة وعائلته الحاضنة المثقفة، إلا أنه لم يستطع الذوبان كلية في أوساط أبناء المعمرين، لأنه بقي دائما أدنى درجة منهم لأصوله العربية، وبالتالي يعيش في فضاء ثالث.

استطاع البطل اكتساب أصدقاء في صباه وعاش معهم مغامرات عديدة، إلا أنه دائما ما كان غريبا في وسطهم، يقول عن أحدهم: (خضرة، دت، ص101) "كان **آندري** نوعا من الطاغية العادي، مستبدا مع عماله، ولكنه لطيف مع أصدقائه، طفل مدلل، عادة ما يتلفظ ببذاءات لا يقدر أبعادها، بقي لومي له خفيفا برغم الأقوال الجارحة التي يصرح بها اتجاه العرب، ولكن تعامله معي كان حذرا، يدعوني إلى بيته في كل المرات التي يدعو فيها أصدقائي دون أي تمييز، غير أنه لا يتردد في توبيخ المسلمين العرب في حضوري كما لو أنها ممارسات طبيعية"، يبين هذا المقطع موقع **يونس** الحقيقي مع أبناء الجالية المستوطنة، حيث سمح له تعليمه وعيشه في أوساطهم بالدخول إلى بيوتهم ومخالطتهم، إلا أنهم لا يتوانون في تذكيره بحقيقته، وكرههم لكل ما هو جزائري ومسلم، حيث بقي عالقا في منطقة عبور دون إمكانية العودة إلى أي من الطرفين.

هذا وقد أجج اندلاع ثورة التحرير الجزائرية هذا الشرخ، فمع بداية هجومات المجاهدين على المستوطنين وقتل أحد أصدقائهم، تم إقصاء **يونس** عمدا، رغم أن المتوفى صديقه المقرب هو كذلك، يقول: (خضرة، دت، ص215) "ألم يدفعني حينما حاولت مواساته في المقبرة عند دفن **جوزي**؟ ألم يغمغم بأن جميع العرب جبناء وجحودون في نية ظاهرة لجرح مشاعري؟ لماذا تلفظ بتلك الأقوال في مقبرة مسيحية حيث كنت المسلم الوحيد إن لم يكن يقصد إيلامي؟"، ما يبين تحميله ذنب اغتيال صديقهم فقط لأنه عربي مسلم، دون أي تقدير لحزنه هو كذلك على وفاة رفيقه، في دلالة واضحة على اغترابه الدائم في فضاءات عبور دون أي انتماء راسخ.

3.5. استعادة الجذور في مواجهة الكيان الاستعماري:

بين الكاتب تراوح البطل الدائم بين كيانه العربي والآخر الأوروبي، إذ عانى من شرخ كبير استطاع تناسيه في طفولته، إلا أنه عاد ليطارده في شبابه، ليحس به بشكل جلي بداية بعلاقته مع **جرمان** والدته بالتبني، يقول: (خضرة، دت، ص254) "أدركت أن الحبل الذي يربطني بها بدأ يفقد بعض أنسجته، بأن السيدة التي كانت كل شيء بالنسبة لي –أمي، معجزتي، أختي، متواطئتي، مساريتي، وصديقتي– أصبحت لا ترى في إلا غريبا"، والملاحظ أنه لم يناديها "**أمي**" أبدا على طول الرواية، رغم اعتنائها به منذ صغره وتعليمه والسهر على راحته أكثر من أمه الحقيقية، إلا أن انتماءه لها لم يكن كاملا يوما، ومع كبره في السن، توسعت الهوة بينهما بشكل أوضح.

تجلى حنينه لجذوره في عودته إلى الأحياء الشعبية التي تعج بالعرب والمسلمين، وابتعاده عن الأحياء الأوروبية التي ترعرع فيها، يقول: (خضرة، دت، ص204) "كيف استطعت أن أتخلى عن هذا الجزء الثمين من كياني؟ كان عليّ الإتيان باستمرار إلى هنا لسد ثغراتي، وصقل قناعاتي، الآن وبعد أن أصبحت ريو صالادو لا تحدثني بنفس اللغة، ما هي اللغة التي سأتخذها؟ أدركت أنني كذبت على نفسي على طول الخط؟ من كنت في ريو؟ **جوناس أم يونس**؟ لماذا كان ضحكي يتأخر عندما ينفجر أصدقائي ضاحكين؟ لماذا ينتابني شعور بأنني أبحث دوما عن مكانة بين أصدقائي؟ (...) ما الذي منعني من أن أكون أنا كاملا وأجسد العالم الذي أتحرك بداخله وأندمج فيه كلية في الوقت الذي كنت أدير فيه ظهري لأهلي؟"، يبين هذا حجم الاغتراب الذي عانى منه **يونس**، والذي تفطن له بعد تقدمه في السن والتمعن في علاقاته، فأدرك ضياعه في المنتصف، وفقدانه لشخصه وهويته، بين **جوناس** الأوروبي و**يونس** العربي، في حين أنه لم يكن هذا أو ذاك، كما رأى بوضوح أن مكانته بين أصدقائه لم تكن يوما ما خالها حين كان مراهقا متحمسا للمستقبل واكتشاف الذات، فكان أصدقاؤه بذلك مرآة للأزمة الهوياتية التي عانى منها، حينما تيقن أنه لا مكانة له بينهم وأن كل ما قام به مجرد محاولات للاندماج لكنها كشفت في النهاية عن استحالة الانصهار الكامل.

4.5. الجزائر وتمثلات الفضاء الثالث:

تميزت رواية **ياسمينة خضرة** بقدرتها الكبيرة على الإحاطة بالجوهر الحقيقي للهجنة عند المستعمِر والمستعمَر على حد سواء، حيث تمكن من الإلمام بشعور الاغتراب لدى الفرنسيين الذين ولدوا وعاشوا في الجزائر بعد تهجيرهم منها، فعانوا معاناة **يونس** ذاتها أثناء انتقالهم للعيش في فرنسا، يقول الكاتب على لسان البطل أثناء تواجده في حانة في مرسيليا: (خضرة، دت، ص271) "كان بطالون حولي يبنون العالم ويهدمونه داخل كأس نبيذ، يملك جميعهم لهجة القرى الجزائرية، ولا تزال الوجوه تحمل سمرة شمس الضفة الجنوبية، يكورون حرف ال "ر" مثلما نكور الكسكسي، بمتعة كبيرة، مهما ابتعد حديثهم وطاف حول العالم، إلا أنه يعود لا محالة إلى الجزائر، لا تلوك أفواههم إلا اسم الجزائر" وقد كان هذا بعد أكثر من أربعين سنة من الاستقلال، ما يبين مكانة الجزائر لدى المستوطنين الذين عاشوا وترعرعوا فيها، يقول صديقه **آندري** في موقف آخر: (خضرة، دت، ص286) "تتمزق أحشائي كلما فكرت في الأمر، الدليل أننا هنا لا نقول نوستالجيا بل

نقول نوستالجيريا نسبة إلى الجزائر (...) الجزائر لاصقة بجلدي، تارة تثير في حكة مثل بذلة نيسوس، وتارة أخرى تعطرني مثل عطر مسكر، أحاول التملص منها ولا أستطيع، كيف أنسى؟"، ما يؤكد على سطوة الجزائر على الفرنسيين، فقد أثرت بهم بقدر ما أثروا بها، وحتى الحرب التي قامت من أجل الاستحواذ عليها، قتل فيها الناس من الجنسيتين، فالجزائر هنا هي ذلك الفضاء الثالث الذي جمع المتناقضات؛ من عرب وأجانب، ومسلمين ومسيح ويهود، من مستوطنين وسكان أصليين، وكانت فضاء لا ينتمي للمستعمِر ولا للمستعمَر، فاستطاعت أن تمزج الشعبين وتزج بهما في حالة من الاختلاط وسيولة الهوية، مشكلة هيمنة خاصة لا يستطيعان الخروج منها أو الانفصال عنها.

خاتمة:

تأسيسا على ما سبق، توصلت دراسة روايتي **Kim** لـ**Rudyard Kipling** **وفضل الليل على النهار لياسمينة خضرة** إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها في:

-حملت النصوص الأدبية الغربية في طياتها جملة كبيرة من الخطابات الاستشراقية التي مرت دون نقد فترة طويلة من الزمن.

-تمكن دارسو نظرية ما بعد الاستعمار من كشف حقيقة النصوص الصادرة عن المركز الاستعماري وفضح الادعاءات الكامنة ضمن النصوص والخطابات الغربية.

-تسهم الهجنة في مد جسور التواصل بين مختلف الشعوب والعمل على ترسيخ مبدأ الفضاء الثالث الذي ظهر مع الحركات الاستيطانية ما يؤدي إلى معرفة الذات بشكل أوضح.

-استطاع **Kipling** أن يمزج بين الهند كفضاء ساحر وفوضوي يحتاج إلى التنظيم عبر الهيمنة الاستعمارية.

-عكست شخصية البطل **Kim** ثنائية الانتماء بين الشرق والغرب، مما يجعلها رمزا لمشروع استعماري يسعى إلى إنتاج وسيط ثقافي يخدم مصالح الإمبراطورية.

-أعاد الكاتب **Kipling** إنتاج صورة الآخر بما يلائم توجهاته الاستيطانية، بعيدا عن الموضوعية في التصوير.

-كشفت الرواية حقيقة الخطابات الغربية في استباحتها للشرق وإنزالها له منزلة الآخر الغريب والمتخلف.

-ظلت الرواية محكومة بمرجعياتها الاستعمارية التي تربط الشرق بالغياب والنقص وتضع الغرب موقع التفوق، وذلك رغم جاذبية السرد وغنى التفاصيل الثقافية.

-لم تخرج الرواية الجزائرية المعاصرة عن نطاقي الهجنة والفضاء الثالث وذلك لما عانته الجزائر من استعمار دام قرابة القرن والنصف.

-جاءت رواية **فضل الليل على النهار** لتبين الشقاق الهوياتي الذي عانى منه الفرد الجزائري والفرنسي على حد سواء إبان الاستعمار وبعده.

-يعد البطل **يونس** خير مثال لجيل كامل من الجزائريين والفرنسيين المخضرمين، وما أحدثه الاحتلال من سيولة في هوياتهم وتشكيك في ذواتهم.

–مثلت الجزائر فضاء ثالثا بالنسبة للمستوطنين الذين ولدوا بها، إذ تحولوا إلى مواطنين من الدرجة الثانية في فرنسا التي لم تتقبلهم كفرنسيين بسبب انتماءاتهم الجزائرية.

–لم يقتصر تأثير الاحتلال على الجزائريين فقط، إذ مسخ المواطنين الفرنسيين إلى صورة مشوهة غير قابلة للانصهار في المجتمع الفرنسي ولا العودة إلى المجتمع الجزائري.

هذا ونظرا إلى خصوبة هذا المجال، يقترح البحث في الخطابات الاستشراقية وتمظهراتها في مختلف الأجناس الأدبية الأخرى، وكذا البحث عن الفضاء الثالث والكشف عن مكامن الشرخ الهوياتي ودحض الادعاءات الأوروبية القائلة بالنقاء الثقافي.

المصادر والمراجع:

1. قباني، رنا. (1993)، أساطير أوروبا عن الشرق لفق تسد، ترجمة: صباح قباني، دار طلاس، سوريا، ط3.
2. فانون، فرانز. (2015)، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ط2.
3. –سعيد، إدوارد. (2006)، الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، ترجمة، محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1.
4. سعيد، إدوارد. (1996)، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1.
5. خضرة، ياسمينة. (دت)، فضل الليل على النهار، ترجمة: محمد ساري، وزارة الثقافة، الجزائر، دط.
6. بابا، هومي. (2004)، مواقع الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1.
7. أشكروفت، بيل وآخرون، (2010)، دراسات ما بعد الكولونيالية (المفاهيم الرئيسية)، ترجمة: أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1.
8. Kipling, Rudyard. (1915), Kim, Macmillan and Co, UK, no ed.
9. Hall, Stuart .Du Gay, Paul. (1996), Questions of Cultural Identity, Sage publications, UK, 1st ed.
10. Bauman, Zygmunt. From Pilgrim to Tourist- or a short history of identity, PP 18-21 Available online: https://pages.mtu.edu/~jdslack/readings/CSReadings/Bauman_From_Pilgrim_to_Tourist.pdf

1. Bhabha, Homi. (2004), Mawaqi‘ al-Thaqafa, tarjama: Tha’ir Dib, al-Majlis al-A‘la lil-Thaqafa, Misr, t1.
2. Ashcroft, Bill wa Akharun. (2010), Dirasat ma ba‘d al-Kuluniyaliyya (al-Mafahim al-Ra’isiyya), tarjama: Ahmad al-Rubi wa Akharun, al-Markaz al-Qawmi lil-Tarjama, Misr, t1.
3. Fanon, Frantz. (2015), Mu‘adhdhabu al-Ard, tarjama: Sami al-Durubi wa Jamal al-Atasi, Madarat lil-Abhath wa al-Nashr, Misr, t2.
4. Khadra, Yasmina. (d.t), Fadl al-Layl ‘ala al-Nahar, tarjama: Muhammad Sari, Wizarat al-Thaqafa, al-Jaza’ir, d.t.
5. Qabbani, Rana. (1993), Asatir Urubba ‘an al-Sharq: Lafaqa Tasud, tarjama: Sabah Qabbani, Dar Talas, Suria, t3.
6. Sa‘id, Edward. (1996), Ta‘qibat ‘ala al-Istishraq, tarjama: Subhi Hadidi, al-Mu’assasa al-‘Arabiyya lil-Dirasat wa al-Nashr, Lubnan, t1.
7. Sa‘id, Edward. (2006), al-Istishraq (al-Mafahim al-Gharbiyya lil-Sharq), tarjama: Muhammad ‘Anani, Ru’ya lil-Nashr wa al-Tawzi‘, Misr, t1.